خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٠/٠١/٠١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(الحديد: ٢٩)

اليوم هو اليوم الأول من عام ٢٠١٠ بفضل الله، وقد أدخلنا الله تعالى في العام الجديد يوم الجمعة الذي هو يوم مبارك جدا من بين أيام الأسبوع، وبهذه المناسبة أهنئكم جميعا قبل كل شيء بحلول العام الجديد، وأسأل الله تعالى أن يبارك لكل أحمدي في هذا العام وكل عام في المستقبل. نحن نتبادل التهاني والتبريكات بمناسبة حلول كل عام جديد. لكن الأعوام والأيام لا تكون

مباركة للمؤمن إلا إذا تسببت في قبول توبته فيها وأدت إلى رقيه الروحاني وجلبت له العفو والمغفرة. وقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "إنما العيد الحقيقي ويوم الفرح الحقيقي واليوم المبارك هو يوم توبة الإنسان، وهو يومٌ يُغفَر له فيه." ذاك اليوم الذي يكشف للإنسان المدارج الروحانية، والذي يقود الإنسان إلى دروب التقدم الروحاني، والذي ينبّه الإنسان إلى تأدية حقوق الله وحقوق العباد، والذي يلفت اهتمام الإنسان إلى بذل جميع المواهب والقدرات لاكتساب رضوان الله تعالى، والذي هو يوم بذْل المساعي والجهود على الصعيد العملي لنيل قرب الله تعالى. فلن تكون سنواتنا وأيامنا مباركة إلا إذا خررْنا على عتبات الله سبحانه وتعالى بإخلاص مستعينين به لتحقيق هذه الأهداف، وسعَينا لإحداث تغيرات طاهرة في نفوسنا. لا شك أن اليومَ يومُ الجمعة وهو يعدّ مباركا جدا ومن هذا المنطلق فإن هذه السنة الجديدة تبدأ بيوم مبارك جدا. لقد أرشدَنا النبي ﷺ إلى بعض الأمور بخصوص أهمية هذا اليوم. لكننا يجب أن نتذكر أنه كما ينتفع المؤمن الحقيقي بهذا اليوم، لا يستفيد منه غيره بمثله رغم أهمية هذا اليوم. لا شك أن اليوم هو هو، لكن المؤمن يسعى أن يجعله سبب نجاته أما غيره فلا يهتم به أكثر من كونه أحد أيام الأسبوع. إن على المؤمن دوما أن يضع في الاعتبار قولَ النبي ﷺ، الذي ورد ذكره في الحديث النبوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى شَيْئًا إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ. وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. (البخاري كتاب الجمعة بَاب السَّاعَةِ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ) فالمؤمن يرى في هذا اليوم مشاهد استجابة دعائه، أما غيره فينشغل في اللهو واللعب. إن أول أيام العام قد اكتسب أهمية أكثر بالنسبة للمؤمن لمصادفته الجمعة حيث تسنَّتْ له الفرصة أن يستقبل العام الجديد الذي يبدأ

بيوم مبارك جدا -مزيِّنا يومه بالأدعية خاضعًا على عتبات الله تعالى ومحييا ليلته بالعبادة-، بينما غيره فلا يعلم شيئا عن أهمية الجمعة ولا يعرف أساليب استقبال العام الجديد، وإنما يهمه أن يقضي الليلة الأولى من العام الجديد والليلة الأخيرة من العام الفائت منغمسا في اللهو واللعب ومنصرفا إلى اللغط والصياح وشرب الخمر كأسا بعد كأس. فنحن سعداء لكوننا من أمة النبي ﷺ، نحن نؤمن بالرسول الذي كان ولا يزال نورا متجسدا، والذي أرانا الطرق المؤدية إلى نيل رضا الله ﷻ، وأرشد الإنسان المؤمن إلى تحقيق الغاية المنشودة من خلقه. كان ﷺ حبيب الله الذي أعلن الله ﷻ أنه سيحب كل من يتبعه ﷺ ويعمل بسنته بشكل حقيقي.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "إن الذي اتباعُه يجعل الإنسانَ حبيب الله تعالى لا يمكن أن يكون أحد أحق منه أن يسمي نفسه نورا، ولهذا سمَّى الله تعالى النبي ﷺ في القرآن الكريم نورا حيث قال ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ﴾(المائدة:١٦)."

ستكون منة الله علينا عظيمة جدا إذا اكتسبنا حظا من هذا النور. وقد علَّمَنا النبي ﷺ أفضل أسلوب لذلك وهو يتعلق بيوم الجمعة، وذلك لتستجاب أدعيتنا عند الله تعالى، ففي رواية عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِن الصَّلاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ." (سنن أبي داؤد كتاب الصلاة بَاب فِي الاسْتِغْفَارِ)

فإن الله ﷻ يقول له: انظر يا حبيبي محمد (ﷺ) إن أفراد أمتك يصلون عليك بعواطف الشكر ساعين جَعْلَ أعمالهم وفقَ التعليم القرآني وأسوتك في هذا اليوم المبارك الذي له أهمية خاصة، لهذا أستجيب أدعيتهم حبا لهم. هذا وكنت أنا أيضا قد أمرتُهم بأن يصلّوا عليك لأن الله وملائكته أيضا يصلون

عليك. فإذا كان هؤلاء المؤمنون استجابوا لأوامري وصلَّوا على حبيبي ابتغاء مرضاتي فأنا أيضا أسمع أدعية هؤلاء العابدين. فصلاتُنا على النبي وأدعيتُنا في مثل هذا اليوم عندما ستُعرَض على الله فسوف تُكسبُنا حب الله تعالى، إن صلاتنا على النبي ﷺ – بشرط أن تتم بالإخلاص والتفاني في حبه ﷺ – تُقدَّم إلى الله تعالى مزيَّنةً بشفاعته ﷺ. فحين أعلن سيدنا ميرزا غلام أحمد عليه السلام أنه المسيح الموعود والإمام المهدي وأنه قد نال منصب إمام الزمان فإنما نال ذلك لحبه الحقيقي الخالص للنبي ﷺ وصلاته عليه التي تحولت إلى أعمدة من نور رُفعت إلى السماء ثم هبطت منها إلى الأرض، وهذا ما نصحَنا به سيدنا المسيح الموعود عليه السلام نحن المبايعين له أيضا أننا إذا كنا ندعي بأننا بايعناه وأحببنا النبي ﷺ فعلينا أن نصلي على النبي ﷺ مخلصين، وبالتالي سننال نحن أيضا –حسب قدراتنا ومواهبنا– نصيبا من ذلك النور الذي هو نور الله وهذا ما سيحسِّن دنيانا وعقبانا أيضا. ثم نكتشف أهمية أخرى لهذا اليوم من الأحاديث وهذه الرواية من صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا." (مسلم كتاب الجمعة بَاب فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) ففي هذا اليوم فرص سانحة لاكتساب البركة كما يمكن أن يتعرض الإنسان للعقوبة أو الحرمان. فالأمر يتوقف على اختيار أولاد آدم إلى أي حزب ينضمون، إن مراعاة قداسة هذا اليوم والأدعية والصلاة على النبي ﷺ والأعمال الصالحة ستُدخلكم الجنة، وتُكسبكم نصيبا من نور الله سبحانه وتعالى، كما يمكن أن يتعرض الإنسان لإغواء الشيطان، فكما أُخرِج آدم من الجنة، فابنُ آدم يخضع للقانون والمبدأ نفسه، إذا واظبتم على الاهتمام بإحراز الحسنات والاعتناء بالدعاء والصلاةِ على النبي ﷺ فسوف تتقدم خطواتكم إلى الجنة بانتظام حيث تصبح هذه الدنيا جنةً لكم

كما يبشِّر الله بالجنة في الآخرة. إذا تورط الإنسان في السيئات فقد أخبر الله عن الخروج من الجنة أيضا حيث تنقلب هذه الدنيا جهنم. إذن، فإن أهمية هذا اليوم تكمن في الأعمال التي تُكتسَب بحسن النية. وألف ألف سلام على ذلك المحسن الذي أرشد بني آدم إلى السبل التي تؤدي إلى جنة الدنيا والآخرة. وكما قلت في صدد بيان الأحاديث أن الأدعية التي يدعو بها الإنسان في حضرة الله خالصة له الدين، والصلاةُ على النبي ﷺ تجعل الإنسان وارثا للجنات التي خلقها الله تعالى في هذه الدنيا والآخرة.

فإن أهمية الجمعة ودخول الجنة أو الخروج منها مشروط بالأعمال. وقد ورد ذكر الجنات الدنيوية والأخروية في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٤٧) أي جنة في الدنيا وجنة في الآخرة.

يقول المسيح الموعود ﷺ في هذا الصدد: "كل من يهجر الذنب مهتمًّا بمقام الله وجلاله وخائفا من أنه سيُسأل عند الله يوما فله الجنتان. أولا: توهَب له حياة الجنة في هذه الدنيا ويَحدث فيه تغيُّرٌ طيب، ويصبح الله تعالى وليا وكفيلا له. وثانيا: يُعطى جنةً خالدة بعد الموت، ذلك لأنه خشي الله وآثره على الدنيا وأهواء النفس."

فما دام الله تعالى يهيئ للناس فُرَصا أكبر للبحث عن قربه ﷻ، فالذي ينتهز هذه الفرص هو المؤمن الحقيقي. واليوم أيضا قد هيأ الله تعالى لكم فرصة أن تزينوا اليوم الأول من السنة بالأدعية حتى تشهدوا خلال العام كله مشاهد استجابة الدعاء. فلتدعوا لأنفسكم ولأهلكم ولأولادكم وللذين يقدمون التضحيات للأحمدية أي الإسلام الحقيقي، كذلك فادعوا لتقدم الجماعة وازدهارها، والمجتمعِ والمحيطِ الذي تعيشون فيه، وأيضا للبلد الذي تقطنونه. إن المؤمن يُعتبر مؤمنا حقيقيا إذا كان يدعو للبلد الذي يقطنه كمواطن فيه. فهذه

كلها واجبات قد كلِّف كل أحمدي بأدائها، فليؤدِّها على خير ما يرام. إن بقاء الدنيا والبشرية منوط بأدعية الأحمديين فقط، ومنوط بها هدايتهم إلى سبل الجنة. فإذا كان أحد لا يسلك تلك السبل بنفسه فأنّى له أن يهدي إليها الآخرين؟

إننا، الأحمديين، قد آمنَّا بآدم هذا العصر الذي لم يأت ليَخرُج من الجنة. فهو لم يرث كلتا الجنتين فحسب بل جاء بتعليم أتى به سيده ومولانا محمد المصطفى ﷺ ليرشد الآخرين أيضا إلى تلك الجنة.

لقد أوحى الله تعالى إلى المسيح الموعود عليه السلام: "خلقَ آدمَ فأكرمه، جرِيُّ الله في حُلل الأنبياء، بشرى لك يا أحمديْ"

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام موضحا "جري الله في حلل الأنبياء": المراد من هذا الوحي الإلهي هو أنني قد أُعطِيت نصيبا من سوانح خاصة أو صفات خاصة بكل نبيّ مرسل من الله منذ آدم عليه السلام إلى الأخير، سواء كانوا إسرائيليين أو غيرهم. وقد أُودِعتْ فطرتي نقشَ فطرة كل نبي". أما النصيب الذي ناله عليه السلام من نور سيدنا رسول الله ﷺ بسبب حبه الحقيقي له ولنيله لقب النبي الظلي فلا يعرف الحدود ولا النهاية. إن آدم هذا الذي جاء في العصر الراهن مليء بنور محمد ﷺ، لذا يرشدنا إلى الطرق المنيرة المتجددة. وقد علّمنا أيضا أساليب الدعاء وآدابه، وهدانا إلى الحصول على حسنات الدنيا والآخرة لنرث حسنات الدنيا وحسنات الآخرة دائما. فللاستفادة من هذا النور لسنا بحاجة إلى الأدعية والأعمال الصالحة في اليوم الأول من السنة الجديدة فحسب، بل هناك ضرورة ماسة للأدعية والأعمال الصالحة باستمرار ليكون كل يوم من حياتنا مباركا، الأمر الذي يجب أن ننتبه إليه جيدا. وآمل أن يكون جميع الأحمديين قد قضوا هذا اليوم المبارك والأول للسنة الجديدة بهذه العاطفة، إذ

قد أُقِيمت صلاة التهجد في المساجد جماعةً. ولكن يجب ألا تخمد هذه العاطفة في اليوم الأول، بل يجب أن يكون كل يوم جديد مظهرا لهذه العاطفة باستمرار. ويجب أن تتقدم كل خطوةٍ من خطواتنا إلى التقوى، ومدعاةً لتقوية إيماننا بالرسول ﷺ. ويجب أن يمتد السعي الحاصل في اليوم الأول إلى ٣٦٥ يوما.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد: ٢٩) فإن علامة المؤمن ومقامه هو أنه لا يؤمن بأن ميتة ملعونة لشخص ما يمكن أن تكفِّر عن أخطاء آدم وبني آدم وذنوبَهم. بل يقول الله تعالى عن المؤمنين الحقيقيين إن حياتهم جهد متواصل، وتضحية متواصلة، والتحلي بتقوى الله تعالى ثم الثبات عليها. إن الاهتمام بأداء حقوق العباد أيضا ضروري مثل ضرورة السعي والاهتمام والانتباه إلى التقدم الروحاني وأداء حقوق الله. كذلك إن السعي لإنقاذ المجتمع من الذنوب أيضا ضروري إلى جانب محاولة التقدم الشخصي في الروحانية. وهناك حاجة لإفهام الدنيا أن استقبال السنة الجديدة يجب ألا يكون بالسكر وارتكاب السخف بل ينبغي أن يكون بالحضور والخرور على عتبات الله بقلوب طاهرة نقية، والأدعية في حضرة الله من أجل رفع معايير الروحانية، ومن خلال تقديم التضحيات في سبيل أداء حقوق خلق الله، وبالتوبة والاستغفار لكي ينقذ الله تعالى الناس جميعا من جهنم هذه الدنيا وجهنم الآخرة.

مما لا شك فيه أن كل شخص مسؤول عن أعماله ولا يسع أحدا أن يكون كفارةً لغيره. فالأعمال الصالحة المذكورة أعلاه تورِث الإنسانَ حسنات الدنيا وحسنات الآخرة أيضا. فإن التقوى والطاعة الكاملة لرسول الله ﷺ هي

التي تجذب رحمة الله تعالى. وكما سبق الذكر أن الطاعة الكاملة لرسول الله ﷺ تجعل الإنسان حبيب الله، ثم يؤتيه الله تعالى كِفلينِ في الدنيا والآخرة ويهبه نورا. فالمراد من الكِفلَين هنا هو حسنات الدنيا وحسنات الآخرة أيضا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في هذا الصدد: "يا أيها الذين آمَنوا إذا ظللتم ثابتين على التقوى وبقيتم قائمين ومتمسكين لله بصفة التقوى فسيجعل الله تعالى بينكم وبين غيركم فَرْقا. والفرق هو أنكم ستُعطَون نورا تمشون به في سبلكم. أي سيكون النور في سائر أفعالكم وأقوالكم وقواكم وحواسكم، فسيكون في عقلكم نور وفي تخمينكم نور، وفي أعينكم نور وفي آذانكم نور وفي ألسنكم نور وفي بيانكم نور وكل حركتم وسكونكم نور. والسبل التي تسلكونها ستكون منيرة. فكل طرقكم بما فيها طرق قواكم وطرق حواسكم تُملأ نورا، فستمشون في النور كله."

وقال عليه السلام: "التقوى والجهل لا يجتمعان أبدا، غير أنه من الممكن أن يختلف الفهم والإدراك حسب مراتب التقوى." أي يمكن أن يختلف فهمُ الإنسان في إدراك كنه التقوى، كما يمكن أن تختلف قوة إدراك الناس أيضا من شخص إلى آخر بحسب مرتبة علاقتهم بالله تعالى، ولكن لا يمكن أن يجتمع الجهل والتقوى في مكان واحد. والمعلوم أن للتقوى أيضا معايير مختلفة لذا فقد أُمِر الإنسان أن يسعى دوما لرفع مستوى تقواه. فسواء كان الأحمدي مثقفا جيدا أو أقل ثقافة من غيره، وسواء كان يملك قدرا أكبر من علم الدين أو أقل، ولكنه إذا كان ملتزمًا بالتقوى فلا بد أن يتجنب على الدوام أمورًا تنم عن الجهل والجاهلية. يجب أن تتذكروا هذه النقطة دوما أن الجهل والتقوى لا يجتمعان أبدًا، وإن كان بالإمكان أن تتفاوت درجات التقوى في الناس كما قلت. والمؤمن الحقيقي هو مَن يركز على الأعمال الصالحة مراعيا التقوى،

ويدخل في كل يوم وفي كل سنة داعيا أن يوفقه الله تعالى للتمسك بالتقوى في كل حين وآن، وينعم عليه بحسنات الدين والدنيا. إن أعمال كل إنسان تجعله ينعم بالحسنات وهي التي تحدد ما إذا كان يفوز برضى الله أو ينال سخطه وغضبه، وذكر الله تعالى هذا الموضوع في أماكن عدة من القرآن الكريم حيث قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء ١٦)، كما قال بأن الذين يتمسكون بالتقوى ويؤمنون بالرسول ﷺ فسيؤتيهم كفلين من رحمته، أولئك الذين يُصلّون على النبي ﷺ ويسعون للتأسي بأسوته ابتغاء مرضاة الله تعالى، وهم الذين ينالون جزاء الضعف الذي هو عبارة عن الحسنات التي تجعلهم وارثين لجنات الدنيا والآخرة. لقد علَّمنا الله تعالى دعاء حتى نرث هذه الجنات. لا يسع الإنسان أداء حق شكر الله تعالى، لذلك ثمة طريق وحيد وهو أن يظل العبد خاضعا على عتبة الله تعالى شاكرًا له. ولقد علم الله تعالى دعاء حتى ننال كفلين من رحمته، وهو دعاء مذكور في سورة البقرة حيث قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(البقرة ٢٠٢). فإن هؤلاء المؤمنين الحقيقيين الذين يدعون لنيل الحسنة في الدينا وللتمتع بها في الآخرة أيضا، إنهم لا يدعون من أجل الرقي المادي عند بداية كل سنة جديدة بل للرقي الروحاني أيضا، إنهم لا يفكرون في خيرهم فحسب بل يفكرون ويدعون من أجل أداء حقوق الآخرين أيضا. فإن الملتزمين بالتقوى والمؤمنين الحقيقيين لا يبحثون عن حسنات الدنيا فحسب بل يدعون الله تعالى لنيل الحسنة في الآخرة أيضا، وذلك لكي تنجيهم هاتان الحسنتان من عذاب النار يوم القيامة. إنه لدعاء جامع عُلِّمناه لنيل الحسنات المؤقتة والدائمة على حد سواء. لقد ورد في الروايات أن النبي ﷺ كان يكثر من هذا الدعاء. وإذا واظب عليه الإنسان مؤديا حقوق الله وحقوق العباد

فسينجيه من العذاب في هذه الدنيا، ثم يُنجيه في الآخرة أيضا بسبب عمله هذا الذي يقوم به ابتغاء مرضاة الله. إن الإنسان يمر من عذاب النار في هذه الدنيا أيضا. إن الآلام والحسرات، والأماني، والمصائب والحروب كلها عذاب النار. لاحظوا ماذا يحدث في هذه الأيام في باكستان وأفغانستان وفي بعض البلاد الأخرى من العالم. والحريق الذي حصل في الأيام الماضية في كراتشي ليس أقل من عذاب النار للمتضررين بل للبلد كله، إذ إن هذه النيران لم تدمر اقتصاد مدينة واحدة فحسب بل دمرت اقتصاد البلد كله، والخسائر الفادحة تقدّر بالبلايين. فإن عذاب النار ملازم للإنسان في هذه الدنيا أيضا ويجب أن يستعيذ منه الإنسان. وإذا كان الإنسان عاريًّا عن لباس التقوى، ويخلو ميزان حسناته من أي عمل صالح، ثم لا يهتم بأداء حقوق الله وحقوق العباد، فقد ورد وعيد شديد لمن كان مثله. فعندما يدعو الإنسان لنيل الحسنة فلا بد أن ينتبه فورًا إلى الالتزام بالتقوى، وأداء حقوق الله وحقوق العباد، وإلى تجنب كل عمل يفضي إلى نتيجة سيئة، وأن يكون حذرًا حتى لا يُحرم من حسنات الله تعالى بسبب بعض ذنوبه الخفية. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إن التوبة ليست شيئا إضافيا لا جدوى منه، ولا يقتصر ظهور تأثيرها على يوم القيامة بل تتحسن بها حالة الإنسان الدينية والدنيوية كلتيهما، وينال الراحة والسعادة الحقيقية في هذا العالم وفي العالم الآخر أيضا. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(البقرة ٢٠٢) أي ربنا هب لنا أسباب الراحة والطمأنينة في هذه الدنيا وفي الآخرة أيضا، ونجنا من عذاب النار. لاحظوا أن كلمة "رَبَّنَا" تتضمن إشارة دقيقة دالة على التوبة، إذ تقتضي كلمة "رَبَّنَا" أن الإنسان قد تبرّأ من جميع الأرباب التي كان قد اتخذها سابقا ورجع إلى هذا الرب. ولا يمكن أن

تخرج هذه الكلمة من صميم الفؤاد بدون الحرقة والرقة الحقيقية. والرب هو من يتدرج بالإنسان من مرحلة إلى مرحلة أعلى حتى يصل به إلى الكمال، وهو من يربي الإنسان. الحقيقة أن الإنسان يكون قد اتخذ أربابًا كثيرة، فعندما يعتمد كليًّا على حِيَلِه وخُدَعِه فهي تكون أربابه. فلو تفاخر بعلمه أو قوته كان ذلك ربّه، ولو اعتزّ بحسنه أو ماله أو ثرواته فهي تكون ربه. خلاصة القول إن ألوفا من الأسباب المماثلة ملازمة للإنسان، ولا يمكنه معرفة الرب الحقيقي ما لم يتخل عن جميع تلك الأسباب ويتبرأ منها، ويخضع رأسه أمام الرب الحقيقي – الذي هو واحد ولا شريك له – ويخر على عتبة بابه مردّدًا كلمة "ربنا" بأصوات ملؤها الألم والرقة. إنه يعترف بذنوبه أمام هذا الرب بكل حرقة وتفان ويتوب إليه ثم يخاطبه بقوله: "رَبَّنَا"، أي أنت وحدك الرب الحقيقي، فقد كنت مخطئا إذ ظللتُ تائها في أماكن أخرى، أما الآن فقد تخليتُ عن جميع الأصنام الكاذبة والآلهة الباطلة، وأقرّ بربوبيتك بصدق القلب وأرجع إلى بابك.

لا يمكن للإنسان أن يتخذ اللهَ ربًّا له دون اتباع هذه الطريقة. ولا يمكن للإنسان أن يعرف الرب الحقيقي ويقر بربوبيته ما لم يخلُ قلبه من جميع الأرباب الأخرى وعظمتها وتكريمها وتبجيلها. قد اتخذ بعض الناس الكذبَ ربًّا لهم، ويرون أنه لا يمكن لهم العيش بدونه، وبعضهم قد اتخذوا السرقة أو النهب أو الخداع ربًّا لهم ويعتقدون بأنه لا سبيل لهم للاسترزاق بدون هذا السبيل، وهكذا فقد اتخذ هؤلاء تلك الأمور أربابا لهم. لاحظوا إذا كان ثمة سارق ولَديه جميع الأدوات اللازمة للنقب، والوقت وقت الليل المفيد لمطلبه، وليس هناك حارس نبهان، فلا يرى في هذه الحالة سبيلا إلا سبيل السرقة التي يتوقع أن يسترزق من خلالها. فإنه يتخذ أدواته ربًّا له. فمن يعتمد كليًّا على

حِيَلِه ويتّكل عليها لا يرى حاجة للاستعانة بالله. إنما يحتاج إلى الدعاء من الله تعالى مَن يجد جميع الأبواب مسدودة أمامه إلا باب الله تعالى، وهو مَن يَخرج الدعاءُ من قلبه. خلاصة القول إن دعاء: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ...إلخ﴾ يقوم به مَن لا يعرف ربًّا سواه ﷻ، ويوقن أن جميع الأرباب الأخرى لا تساوي هذا الرب الحقيقي في شيء.

ليس المراد من النار هي التي تكون يوم القيامة، بل من يعيش عمرًا طويلا في الدنيا يرى فيها ألوفا من النيران، ويعرف من لديهم خبرة أيضا أن هناك أنواعًا كثيرة من النار في هذا العالم، منها: أنواع العذاب، والخوف، والقتل، والفقر، والمرض، والفشل، ومخاوف الذلة والزوال، وألوف من الآلام، وهموم الأولاد والزوجة، والتشابك مع الأقرباء في المعاملات، كلها نارٌ. إن المؤمنين يدعون الله تعالى قائلين: اللهم نجِّنا من جميع أنواع هذه النار. وحيث أننا قد تمسكنا الآن بأهدابك فَقِنا من جميع هذه الأمور التي تنغّص الحياة الإنسانية والتي هي بمنـــزلة النار للإنسان." (تفسير المسيح الموعود عليه السلام، المجلد الأول ص٣١٤-٣١٥ طبعة الهند ٢٠٠٤)

إنه لمقتبس جامع من كلام المسيح الموعود عليه السلام فسّر فيه الآية السالفة – كما أن هناك مقتبسات أخرى أيضا تلقي الضوء على تفسيرها – ويظهر من هذا المقتبس كيف يتعرض الإنسان للمشاكل والمصاعب، وما هو المعنى الحقيقي لهذا الدعاء. فيجب أن يضع المرء كل هذه الأمور في اعتباره عند هذا الدعاء.

متَّعَنا الله تعالى بحسنة في الدنيا والآخرة دوما، ووقانا من عذاب النار الدنيوي والأخروي، ووفقنا للعمل بالحسنات والصالحات، وجعل هذا العام وكل عام جديد في المستقبل يحمل في طياته كل نوع من الحسنة للجماعة

ولجميع أفرادها وحفظهم من الآلام والمصاعب، ووفقنا للعمل بالصالحات ولنيل حظ من ذلك النور الذي جاء به سيدنا محمد المصطفى ﷺ، آمين.